الشعر ذو الاعلام

بقلم : صادق الملائكة
استاذ الأدب العربي في الاعدادية المركزية

—٢—

تعز ابا العباس عن خير هالك واكرم حي كان أو هو كائن

هذا البيت من شعر ابي نواس قاله في مطلع قصيدة وبعده :

حوادث أيام تدور صروفها لمن مساو مرة ومحاسن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى
فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

وابو العباس المنادي في البيت هو الفضل بن الربيع ابن يونس أحد العريقين في الوزارة والحجابة فقد حجب للمنصور والمهدي والهادي والرشيد والأمين ووزر بعد نكبة البرامكة للرشيد ثم للأمين من بعده وعمل على مقاومة المامون فلما ظهر على أخيه عفا عن الفضل ولكنه أهمله حتى مات في عام ٢٠٨ هـ وكان ابو نواس من المنقطعين الى الفضل المكثرين من مدحه وقد اكثر من ذكر اسمه وكنيته في شعره مثل قوله :

أنت يا ابن الربيع علمتني الخير
وعود تنيه والخير عاده

وقوله :

ما من يد في الناس واحدة كيد ابو العباس اولاها

وقوله :

ساد الملوك ثلاثة ما منهم ان حصلوا الا اغر قريع
سادالربيع وساد فضل بعده وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى
والفضل فضل والربيع ربيع

وبيت ابي نواس الذي نحن بصدد شرحه يعد من أحسن المطالع الشعرية لأنه أشعر به السامع انه جمع بين الرثاء والتهنئة في قصيدته هذه فهو يعزي الفضل بالرشيد ويهنيه بخلافة الامين ، وليس ابو نواس هو اول من نظم في مثل هذا النوع من الشعر بل ان هذا مسبوق اليه ويلوح لي ان اول من صنع مثل ذلك عبد الله بن همام السلولي حين هنأ يزيد بالملك وعزاه بأبيه معاوية فقال من ابيات :

اصبر يزيد فقد فارقت ذائقة
واشكر حباء الذي بالملك إصفاكا

ثم جاء ابو تمام بعد ابي نواس فنظم قصيدة هنأ بها الواثق بالخلافة وعزاه بالمعتصم وتعد هذه القصيدة من أروع الشعر وفيها يقول :

لله أي حياة انبعثت لنا بوم الخميس وبعد أي حمام
اودى بخير امام اضطربت به شعب الرحال وقام خير امام

وتبعه محمد بن حيوس بقصيدة يخاطب بها نصر بن محمود صاحب حلب ويهنيه بالملك ويعزيه بابيه فيقول فيها :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا
على انه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤس لا يماثلها الأسى تقابلها نعمى يحق لها الشكر

ثم جاء ابن نباته السعدي فقال قصيدته مهنئاً بها السلطان الملك الافضل بسلطنة حماة ويعزيه بموت أبيه الملك المؤيد ويقول في مطلعها :

هناء محا ذاك العزا المتقدما فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغورا بتسام في ثغور مدامع شبيهان لا يمتازذو السبق منهما
تردمجاري الدمع والبشر واضح
كوابل غيث في ضحى الشمس قدهما

وفي كل ماقدمنا من هذا النوع يقول علماء البديع ان هذا النوع يسمى بالافتنان ويعرفون ذلك النوع بانه الاتيان بفنين مختلفين من فنون الكلام في بيت واحد فاكثر مثل النسيب والحماسة والمدح والهجاء والتهنئة والتعزية ولا يختص بالنظم بل يكون في النثر ايضاً . ويظهر من كلام ابن حجة في شرحه بديعيته انه ظن ان ابن نباته أول من نظم في هذا النوع جامعاً بين التهنئة والتعزية والذي يظهر للناس مما قدمنا ذكره ان ذلك وهم من ابن حجة ونحن نرى ان في بيت ابي نواس من أنواع البديع

ايضا لأنه جمع فيه بين معنيين متقابلين حين ذكر الهالك والحق فهو بذلك جاء بطباق ايجابي كما انه جمع في البيت بعده بين المساوي والمحاسن وفي البيت الثالث بين المغيبون والغائبين والحي والميت وقد كان ابو نواس منتبهاً للطباق فهو يأتي به في شعره كثيراً .

ونرى في بيته ايضاً التتميم في عبارة كان اوهو كائن والتتميم هو عبارة عن الاتيان في الكلام بكلمة أو جملة اذا طرحت او تركت نقص حسنه ومعناه .

أما الغلو فظاهر في البيت اذا علمنا انه ادعاء الانسان لشيء وصفاً بالغاً حد الاستحالة عقلا وعادة ومما يلاحظ هنا ان أبا نواس كان كثير الغلو في شعره اذ هو القائل :

ولما شربناها ودب دبيبها الى موضع الاسرار قلت لها قفي
مخافة ان يسطو على شعاعها فيطلع ندماني على سري الخفي

والقائل :

واخفت اهل الشرك حتى انه ليخافك النطف التي لم تخلق

وعلى ذكر هذا البيت تروي ان العتابي الشاعر يعني أبا نواس فقال له ما استحيت من الله بقولك وانشده البيت فقال له أبو نواس وانت ما استحيت من الله حين قلت :

مازلت في غمرات الموت مطرحا
يضيق عني وسيع الرأي من حيلي

فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي
حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

فقال العتابي قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل قولك ولكنك قد اعددت لكل ناصح جوابا . وقد استعمل أبو نواس هذا المعنى في مكان آخر من شعره فقال :

حتى الذي في الرحم لم يك صورة لفؤاده من خوفه خفقان

ومن غلوه قوله :

لاينزل الليل حيث حلت فدهر شرابها نهار

وحيث ظهر لنا كل هذه الأنواع البديعية في بيت أبي نواس فقد أصبح في هذا البيت من علم البديع ايضاً الابداع بالباء الموحدة وهو النوع الذي عرفوه بقولهم الابداع أن يكون البيت من الشعر مشتملا على عدة ضروب من البديع .

الأديب

— أو —

نظرة بعد التفاتة

للاستاذ عبد الزهراء الصغير

نظرت وانت حليف النظر لدنيا الشقاء ودنيا الكدر
فأدركت ان جميع الانام تعوم ببحر القضا والقدر
روي كل ما في حياة الأديب سراعاً تمر كلمح البصر
حياة الأديب وهل يا ترى حياة تجيء له بالثمر
حياة الهموم حياة الأسى حياة الشجون حياة الضجر
حليف الشقا لم يزل في الورى كعود تقطع منه الوتر
كأن الزمان ومن عدله يجور ويفتك فيمن شعر
ويسعد فيه لئيم الطباع بليد الشعور قصير النظر
يشيد لذلك أعلى القصور تحير العقول بها والفكر
قصور على دجلة والفرات من الروح قد بنيت لا الحجر
كان السماء عليها استوت فالقت عليها النجوم الدرر
يهب عليهن عرف الأقاح وتبسم فيها حقول الزهر
وللطير في الروض انشودة يرتل فيها بديع السور
كذاك الحياة لدى المؤسرين نعيما ولم يك فيها كدر
أتلك الحياة حياة الاديب وهذا النعيم له بمدخر
بربك قلي الما نزل صريع الغواني رهين السهر
تسامر بدر الدجا عله لألفك يحكي لذيذ السمر
وتقرأ اني رأيت الجمال وان لاح في مهمه أو خضر
اعيذك بالله رب العباد من الحاسدين ومن كل شر
تذكر اخي ليالي الوصال اذاهب وهنا نسيم السحر
تضوع فيهن ذاك العبير فتاح لدى الحقل عرف الزهر
هنالك توقع أنشودة سروراً ترنح منها القمر
وتذري جنونك حمر الدموع فتكتب منها السطور الغرر
(تلفتت للغر الماضيات فالفيتها مشرقات الصور)
يمسن بعهد الصبا والوصال فحسبي اذا لم تعد بالذكر

النجف

عبد الزهراء الصغير